
قرّة العين

قُرَّةُ العَين

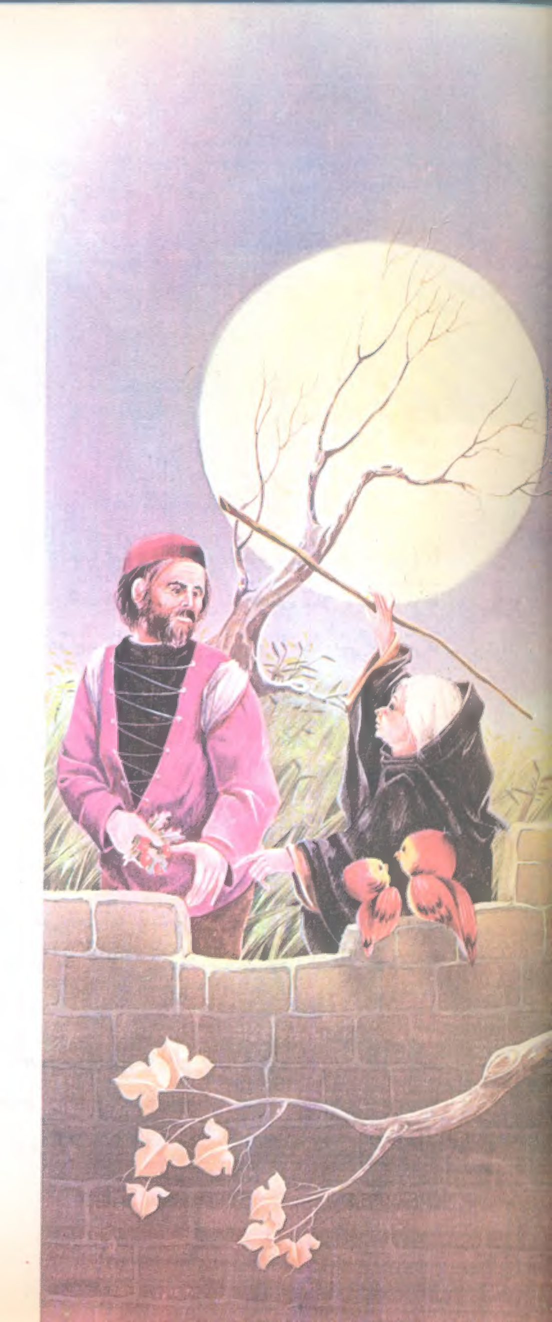
سأحكي لكَ ، أيُّها القارئُ الصغير ، حِكايَةَ قُرَّةِ العين .

قُرَّةُ العينِ بَقْلٌ شَهِيّ (لذيذ) يَنْبُتُ في مَجاري المِياه. وقُرَّةُ العينِ اسْمُ الطِّفْلَةِ التي تَدورُ حولَها وَقائِعُ هذهِ القِصَّة .

من مِئاتِ السِّنين كانَ رَجُلٌ وزَوجَتُه (إمرأته) يَعيشانِ في سَعادةٍ وهَناء . لَكِنَّ الحُزْنَ كان يَبْدو على مَلامِحِ وَجهِهِما كُلَّما فَكَّرا في أنَّ اللهَ لم يَرْزُقْهُما وَلَداً يَسْعَدانِ به . وكانا يَطْلُبانِ إلى اللهِ بِحَرارَةٍ وإيمان أن يُنْعِمَ عليْهِما بِوَلَد (يَجودَ عليهما بِوَلَد) يَجِدانِ فيه تَعْزِيَةً في شَيخوخَتِهِما . أشْفَقَ اللهُ عليهِما واسْتَجابَ لَهُما. فَرِحا فَرَحاً لا يُمْكِنُكَ أن تَتَصَوَّرَه .

في يومٍ منَ الأيّامِ اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ من نومِهِ باكِراً (أفاقَ منه) وذَهَبَ إلى عَمَلِهِ كالْمُعْتاد . مَكَثَتِ امْرَأَتُهُ وَحدَها بِالْبَيت وكان وَقْتُ وِلادَتِها قد قَرُبَ (دنا)

نَهَضَتْ من نومِها وكَنَسَتْ بَيتَها ورَتَّبَتْهُ ثُمَّ تَناوَلَتْ فُطورَها . عندما انْتَهَتْ مِنَ الأكْل (فَرَغَتْ منه) ذَهَبَتْ إلى شُبّاكِ غُرْفَتِها وَفَتَحَتْه. دخلَ النَّسيمُ الْمُنعِشُ يَحمِلُ إليها عِطْرَ الزُّهورِ الزَّكِيّ (رائِحَتَها الطَّيِّبة) فَانْتَعَشَتْ روحُها .





كانَتِ النَّافِذَةُ تُطِلُّ على حديقةٍ جميلَة (تُشْرِفُ عليها) فيها من أنواعِ الزهورِ والبُقول (الخُضَر) ما يَسْحُرُ العقْلَ (يأْخذُه) ويَشْرَحُ الصَّدْر . وكانَتِ العصافيرُ تَتَنقَّلُ على الأغصان تَمْلأُ الجوَّ زَقْزَقَةً وتَغْريداً . طَرِبَتِ المَرْأةُ لها أشدَّ الطَّرَب (فَرِحَتْ بهـــا فَرَحاً شديداً) وراحتْ تُسَرِّحُ بَصَرَها (تُجيلُهُ) فيما حَوَتْهُ تلكَ الحديقَةُ من عَجائِبَ وَغَرائِبَ .

لَفَتَ نَظَرَها بَقْلٌ اسْمُهُ قُرَّةُ العين . قالتْ في نفسِها : « مـــا أشهى هذا البَقْل (ما أطْيبَه) ! أكونُ سعيدةً إذا قَدَرْتُ أن أذوقَه . » ما العَمَل ؟ فَالْحديقةُ تَخُصُّ امْــرَأَةً عجوزاً بَشِعَةً شِرِّيرَة . يَخافُها كُلُّ سُكَّانِ القَرْيَة . ويُحيطُ بالحديقةِ سُورٌ عالٍ لا بابَ له (حائِط) . لا يُمْكِنُ الوُصولُ إليها إلاّ من بيتِ السَّاحِرَة . تَنَهَّدَتِ المرْأةُ تَنَهُّدَةً عميقةً وأغْلَقَتِ النَّافِذَة .

حاوَلَتْ أن تَنْسى قُرَّةَ العين ، وهِيَ تَعْلَمُ حَقَّ العِلْمِ أنَّهُ يَسْتَحيلُ الوُصولُ إليها ، وَلَكِنْ دون فائِدَة . كانَتْ تَحْلُمُ بها في لَيلِها وتُفكِّرُ فيها في نَهارِها . فَقَلَّ أكْلُها وَشَحَبَ لَوْنُها (تَغَيَّرَ) وَهَزَلَ جِسْمُها (نَحَلَ وَدَقَّ أي قَلَّ شَحْمُها ولَحْمُها) .

ذاتَ يومٍ عـادَ رجلُها إلى البَيتِ عِنْدَ الظُّهْر . رَآها واقِفَةً أمامَ النافِذَة والإصْفِرارُ يَعْلو وَجْهَها والدُّموعُ تَسيلُ من عينَيها . قَلِقَ زَوْجُها عندما رَآها على تِلْكَ الحالَة . سأَلهـــا : « ما بِكِ ، يا عَزيزَتي؟ أراكِ حزينَةً كئيبَة . »



تَنَهَّدَتِ الزَّوجَةُ قالَتْ : « أشْتَهي أن أذوقَ قُرَّةَ العين . وإلاّ أموتُ مَوتاً . » وَسَكَتَتْ . جَمَدَ الرَّجلُ مَكانَهُ (لَبثَ بمكانِهِ لا يَتَحَرَّك) لا يَدري ما يَقول وقد داخَلَهُ حُزنٌ عميق. كانَ يُحِبُّ امْرأتَهُ حُبًّا خالِصاً فخافَ على حَياتِها . فَكَّرَ في نَفسِه : « لن أدعَ زوجَتي تمـوت (أترُكُها) . أذهَبُ فأجلُبُ لها قُرَّةَ العين مَهما كَلَّفَني الأمر . » ثمَّ نظرَ إليها وعَيناهُ تَنْطِقانِ بالحُبّ : « هَوِّني عليكِ ، يا عزيزتي . سَتَذوقِينَ قُرَّةَ العين . »

في أوَّلِ الليل قَصَدَ صاحِبُنا حديقةَ السَّاحِـرَة وَقَلْبُهُ يَخْفُقُ وَجَلاً (يَضطَرِبُ خوفاً) . تَسَلَّقَ الحائِطَ وَنَزَلَ إلى الحَديقَة . جَمَعَ باقَةً من قُرَّةِ العين وعادَ أدراجَهُ دونَ أن يَشعُرَ به أحد .

أخذَتْها الإمْرأةُ وتَبَّلَتها بالمِلحِ والثُّوم والزَّيتِ والخَلِّ وأكَلَتها بِشَهِيَّة. إنتَعشَتْ روحُها وأشرقَ وَجهُها غِبطَة: «ما ألذَّ هذا الطَّعام!» شكَرتْ لِزَوجِها مَعروفَهُ ولَجأتْ إلى فِراشِها فنامَتْ نوماً هادِئاً.

في اليومِ التالي أفاقَتْ من نومِها نَشيطَةً على غيرِ عادَتِها. ذهبتْ من ساعَتِها وفتحتْ نافِذَةَ غُرفَتِها. ما إن وقعَ بَصَرُها على ذلكَ البَقلِ العَجيب حتَّى عاوَدَتْها الرَّغبَةُ في أكْلِهِ (رَغِبَتْ فيهِ من جَديد). قالتْ لِزَوجِها مُتَوَسِّلَة: «هل بِوُسعِكَ (تَقدِرُ) أن تأتِيني بِباقَةٍ من قُرَّةِ العين؟ إنَّهُ طَعامٌ شَهِيٌّ أحبَّتْهُ نَفسي.»

ما أرادَ الرجلُ أن يُخَيِّبَ أمَلَها فأجابَها بِلُطف: «لكِ ما تُريدين.» في أوَّلِ الليل تَوَجَّهَ إلى الحديقةِ خُفيَةً وتَسَلَّقَ السُّورَ والهَلَعُ يَخلَعُ قلبَه (الخوفُ يُزيلُ قلبَهُ من مكانِه). فجأةً أبصَرَ الساحِرَةَ الشِّرِّيرَةَ تُحَدِّقُ إليهِ (تنظُرُ إليهِ مَلِيًّا) بِعَينَينِ يَنبَعِثُ مِنهُما الشَّرَر وقد استَولى عليها الغَضَب (تَمَلَّكَها): «أيُّها الشَّقِيّ، كيفَ تجرُؤُ أن تأتِيَ حديقَتي وتَسرِقَ بَقلي؟ سوفَ تَندَمُ أشَدَّ النَّدَم.»

أجابَها الرجلُ بصوتٍ مُتَلَعثِمٍ (مُتَرَدِّد) وهو يَرتَجِفُ مِنَ الخَوف (يَرتَعِدُ - يَرتَعِش): «عَفوَكِ، يا سَيِّدَتي. ما أتيتُ جُنَينَتَكِ عن طِيبَةِ خاطِر. شاهَدَتْ زَوجَتي قُرَّةَ العين فاشتَهَتْ أن تَذوقَه. كادَتْ تَمـوتُ حَسْرَةً فأشفَقتُ عليها.»



هَدأَ غضبُ الساحِرَةِ عندما سَمِعَتْ هذا الكَلامَ قالتْ : « إذا كانَ الأَمْرُ كما تَزْعُم ، أَسْمَحُ لكَ بأن تأْخذَ منَ البَقْلِ ما طابَ لَكَ . على شَرْطِ أن تُعطِيَني الطِّفْلَ الذي يُوْلَدُ لكما . يَكونُ لِي إبْناً وأكونُ لهُ أُمًّا تُحِبُّهُ وتَعطِفُ عليه . » وافقها الرجُلُ على طَلَبِها لِأَنَّ الخوفَ أَفْقَدَهُ صَوابَهُ (عَقْلَه - رُشْدَه) .

ما مَضتْ بِضْعَةُ أسابيع حتى أَبْصَرَتِ النـــورَ طِفْلَةٌ غايَةٌ في الجمَال (جميلةٌ جدًّا) . حَضَرَتِ العَجوزُ وانتزَعَتْها من بينِ ذِراعَي أُمِّها وأَخذَتْها إلى بيتِها . وقد سَمَّتْها قُرَّةَ العين . بكا الوالِدانِ بُكاءً مُرًّا على فِراقِ طِفلَتِهِما وتَمَزَّقَ قلبُهما حُزْناً (تَقَطَّعَ) . ولكنْ ما العمل ؟ إنّ الساحِرَةَ أقوى منهما فلا يَقْدِرانِ على مُقاوَمَتِها .

مَرَّتِ الأَيّامُ والسِّنون وقدِ انْقطعَتْ أخبارُ الإبْنَةِ عن والدَيها . بَلَغَتْ قرّةُ العين الثانِيَةَ عَشْرَةَ من عُمْرِها وكانَتِ الأَيّامُ تَزيدُها جَمالاً . أَصبَحَ جَمالُها يَبْهَرُ العُيـــون . كانَ شَعْرُها بِلَونِ الذَّهَبِ الخالِص . جَدَلَتْهُ غَديرَتَينِ تَتَدَلّيانِ على ظَهْرِها إلى الأَرْضِ كأَنَّهما حَبْلان .

ذاتَ يومٍ أَخذَتِ الساحِرَةُ الفَتاةَ إلى بُرْجٍ في وَسَطِ الغابَةِ وَحَبَسَتْها فيـــه . كانَ البُرْجُ شاهِقاً (عالِياً - مُرْتَفِعاً) كأَنَّهُ وَكْرُ النَّسْر . لَهُ نافِذَةٌ صغيرةٌ في أعلاه . كُلَّ يومٍ عندَ الظُّهر كانَتْ تَحْمِلُ



إليها طعامَها . تَصِلُ إلى أسفلِ البرجِ فَتُنادي : « قرَّةَ العين ، دَلّي شَعْرَكِ لِأَصْعَدَ إليْكِ . » تَشُدُّ المِسْكينَةُ شَعْرَها إلى حَديدَةٍ في النافِذَةِ وتُدَلّيه . تَتَمَسَّكُ بهِ الساحِرةُ وتَصْعَدُ إلى البُرْج .

وتَوالَتِ الأيّامُ والسِّنون (تَتابَعَتْ - تَعاقَبتْ) ...

إتَّفَقَ يوماً أنْ مَرَّ ابْنُ الملِكِ في تلكَ الغابَةِ وهو راكِبُ حِصانَه . سَمِعَ صوتاً شَجِيًّا نَفَذَ إلى قلبِه . تَرَجَّلَ وأنْصَتَ (نَزَلَ عن حِصانِه) لِيَعْرِفَ مَصْدَرَ ذلكَ الصوتِ الفتّان . فَفَهِمَ أنَّهُ يأتي مِنَ البُرْج . كانَتْ قرَّةُ العينِ تُنْشِدُ الأناشيدَ لِتُفَرِّجَ كُرْبَتَها (لِتُزيلَ هَمَّها) .

دارَ ابْنُ الملِكِ حولَ البُرْجِ لِيَهْتَديَ إلى مَدْخَلِهِ فلم يَجِدْ لهُ باباً . رَجَعَ إلى قصرِهِ وهو يُفَكِّرُ في صاحِبَةِ ذلكَ الصوتِ البديعِ (لا مَثيلَ له) . وصارَ يأتي كُلَّ يومٍ إلى الغابَةِ لِيَتَمَتَّعَ بذلِكَ الصوتِ الساحِرِ (يأْخُذُ العَقْلَ) .

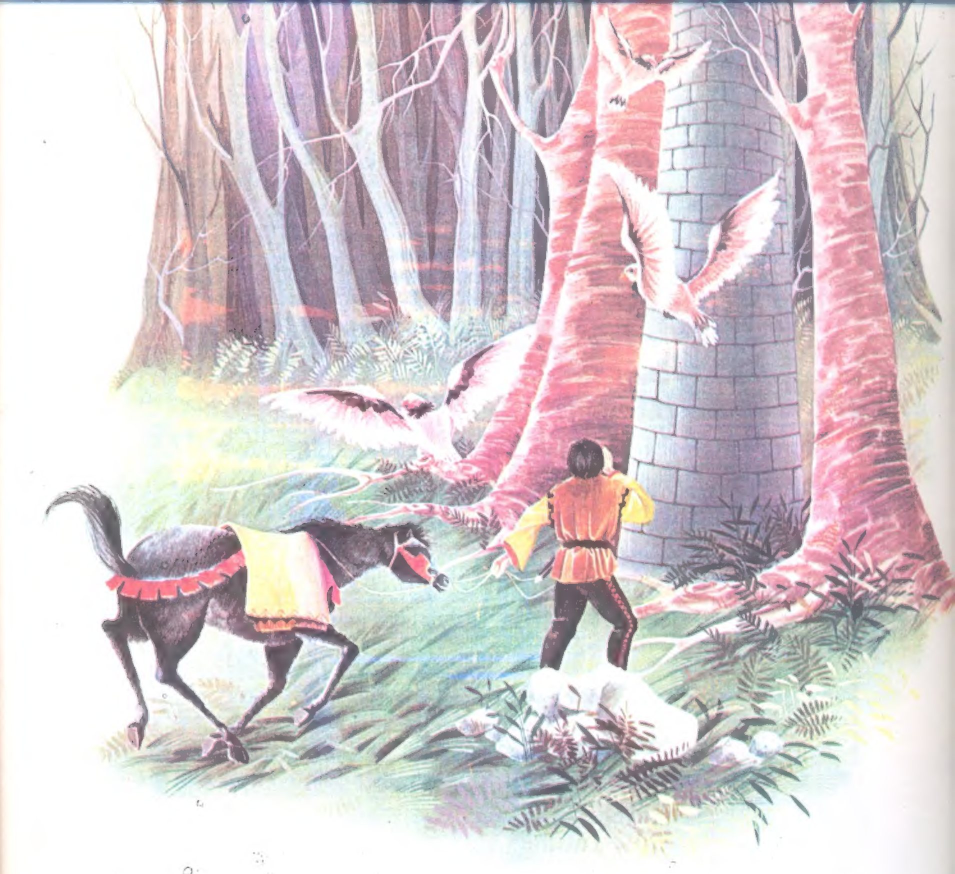
ذاتَ يومٍ وصَلَ إلى الغابَةِ فشاهَدَ الساحِرةَ تَتَّجِهُ نَحْوَ البُرْج . نَزَلَ عن حِصانِهِ واخْتَبأَ وراءَ شَجَرةٍ وأصْغى . سَمِعَها تُنادي : « قرَّةَ العين ، دَلّي شَعْرَكِ لِأَصْعَدَ إليكِ . » دَلَّتْ هذهْ شَعْرَها كالمُعْتاد . إسْتَعانَتْ به العَجوزُ وصَعِدَتْ إلى البُرْج . ما مَضَتْ ساعةٌ مِنَ الزَّمَنِ حتّى أبْصَرَها تَنْزِلُ كما صَعِدَتْ .

قالَ الشابُّ في نَفْسِهِ بعْدَ أن تَوارَتِ الساحِرةُ عَنِ الأبْصار (اخْتَفَتْ عنها) : « سَأُجَرِّبُ حَظّي . » إقْتَرَبَ مِنَ البُرْجِ ونادى : « قُرَّةَ العين ، دَلّي شَعْرَكِ لِأَصْعَدَ إليكِ . » فَفَعَلَتْ ودخلَ الشابُّ البُرْج .

ما وَقَعَ بَصَرُ الفَتاةِ عليه حتّى ارْتَبَكَتْ وداخَلَها خوفٌ شَديد . حَوَّلَتْ عنهُ وَجْهَها وأدارَتْ لهُ ظَهْرَها . هذه هِيَ المَرَّةُ الأُولى التي تَرى فيها صورةَ إنْسانٍ غيرَ صورةِ الساحِرَة .

حاوَلَ الشابُّ أن يُهَدِّئَ رَوْعَها (يُسَكِّنُ خوفَها) فَراحَ يُلاطِفُها قائِلاً : « لا أُريدُ لَكِ شَرًّا ، أيَّتُها الفَتاةُ الكَريمَة . سَمِعْتُ صَوْتَكِ العَذْبَ فَطَرِبْتُ له . وأَحْبَبْتُ أن أرى وَجْهَك . » أخيراً أَنْزَلَ





خوفُها . إلتفتتْ إليهِ وتأمَّلته . راقها شكلُهُ (أعجبَها) ولِباسُهُ المُلوكِيّ . أمّا هو فسحَرَهُ جمالُها . حِينئذٍ قصَّتْ عليهِ قِصَّتَها .

كانَ يُصغي إليها بِانتِباهٍ وقد أثَّرَ فيهِ كَلامُها وأعجَبَهُ ذكاؤُها . أطرَقَ رأسَهُ (خفضَهُ) وغاصَ في بَحرٍ مِنَ التّفكير (غرقَ فيه) : « كيفَ أخلِّصُ هذه الفتاةَ الجميلةَ من سِجنِها ؟ إنَّها أجملُ وأذكى من بَناتِ المُلوك . لو طَلَبْتُ إليها أن تكونَ لي زوجةً ، لَعلَّها تَرضى . »

رَفعَ بَصرَهُ إليها وسألَها : « هل ترضَينَ بأن تَصيري لي زوجة ؟ »

فاجأها هذا السُّؤالُ فعلا الإحمرارُ خدَّيها . خفضتْ نظرَها حياءً وقالتْ بصوتٍ خافِتٍ (ضعيف) : « عن طِيبةِ خاطِر . أعدُّ نفسي سعيدةً إذا أصبحتُ زوجتَك . » ثمَّ مدَّتْ يدَها وصافحَته .



لا تَسَلْ عن فرَحِها. مَكَثَا فترَةً مِنَ الوَقْتِ صامِتَيْنِ حالِمَيْنِ وقَدِ انعقَدَ لِسانُهما (عَجَزا عَنِ الكَلام).

كَيفَ يُخرِجُها من سِجنِها والبُرْجُ شاهِقُ العُلُوِّ ؟

بعدَ تفكيرٍ طويلٍ قالتْ له: « قدِ اهْتَدَيْتُ إلى وَسيلَةٍ (وَجدتُ طريقةً) لِأَخرُجَ من هذا السِّجْنِ اللَّعين. كُلَّما جِئْتَ إلى هُنا أَتيتَني بِكُبَّةٍ من خُيوطِ الحَرير. في أثناءِ غِيابِكَ أَجدُلُها حَبْلاً مَتيناً (أَبرُمُها) أستَعينُ بِهِ على النُّزولِ إلى الأَرض. » وافَقَها على خُطَّتِها ووَعَدَها بِزِيارَةٍ في اليومِ التالي. ثمَّ وَدَّعَها وانْصَرَفَ.

في اليومِ التالي كانَتِ الفتاةُ جالِسَةً في بُرْجِها تَنتَظِرُ بِفارِغِ الصَّبْرِ قُدومَ الأمير. وفَجأَةً سَمِعَتْ صوتَهُ يُناديها. دَلَّتْ شَعرَها وبِأَسرَعَ من لَمحِ البَصَر (وبِمِثْلِ طَرْفَةِ العين) انتَشَلَتْهُ إليها. أعطاها كُبَّةً من خُيوطِ الحَرير. وبعدَ أن أمضى بِصُحْبَتِها بَعضَ الوقتِ غادَرَها على أَمَلِ اللِّقاءِ في الغَد.

تعاقَبَتِ الزِّياراتُ دونَ أن تُشعُرَ بِهِ الساحِرَةَ لِأَنَّها كانَتْ تَأتي عندَ الظهْرِ أمّا هو فكانَ يَجيءُ في المَساء.

أوشَكَتِ الفتاةُ أن تَنتَهِيَ (قَرُبَتْ) من جَدْلِ الحبْلِ الذي يُمَكِّنُها مِنَ الخُروجِ من سِجْنِها. قالتْ لِخَطيبِها عندَ زِيارَتِهِ الأخيرة: « غداً إن شاءَ الله سأُغادِرُ هذا السِجْنَ اللَّعين. »

لا تَسَلْ عن فَرَحِ الأميرِ عندما رنَّتْ في أُذُنِهِ هذهِ الكَلِمات. وَدَّعَها وقَلْبُهُ يَطفَحُ

غِبطَة. وهو لا يَكادُ يُصدِّقُ أنَّهُ غداً في مِثْلِ هـذا الوقت سَوفَ يُغادِرُ البُرجَ تُرافِقُهُ فتاتُهُ المحبوبَة. فيُرْكِبُها وراءَهُ على حِصانِه ويَطيرُ بها إلى قصرِ أبيه. عَبثاً حاولَ أن يُغمِضَ عينَيهِ في تلكَ الليلَة. لَقدَ نفَرَ عنهُ النَّوم.

لَعلَّكَ تسأَلُ، أيُّها القارئُ العزيز، ماذا حَلَّ بوالِدَي قُرَّةِ العين.

ظَلَّا أيّاماً عديدةً حائرَينِ ذاهِلَين. لا تنشَفُ لِوالِدَتِها التَّعِسةِ دَمْعَة ولا يَخفُتُ لها صَوت. تنوحُ وَتَندُبُ سُوءَ بَخْتِها (حَظِّها): «أنا امْرَأَةٌ شَقِيَّة. سَبَّبْتُ هَلاكَ طِفلَتي. فَدَيتُكِ بِروحي، يا ابْنَتي العَزيزَة.» ثمَّ تخنُقُها العَبَرات (تَغَصُّ بِدُموعِها). يُحاوِلُ زَوجُها المِسكينُ أن يُخَفِّفَ من آلامِها وَيُسَكِّنَ من رَوعِها ولكنْ عَبَثاً (دونَ فائِدَة - جَدْوى).

تَتابَعتِ الأَيّامُ وازدادَت حالَةُ تلكَ الأُمِّ سُوءاً. قَلَّ أكلُها وَشَحَبَ لَونُها وَكَلَّ بَصَرُها من فَرْطِ البُكاء (ضَعُفَ من كَثْرَةِ البُكاء). بَـــدا عليها الهَرَمُ قبلَ الأَوان. كَمْ من مَرَّةٍ أفاقَتْ من نَومِها مَذعورَةً وهي تصيح: «ابْنَتي، عَزيزَتي، أينَ أنتِ؟» وتروحُ تَطوفُ في البيتِ (تَجولُ فيه) تَبحَثُ عنها. إستَدعى لها زَوجُها أمهَرَ الأَطِبّاء فَعَجَزوا عن شِفائِها.



في صباحِ يومٍ منَ الأيّامِ أفاقَتْ تلكَ الأمُّ باكِراً وقد بدا عليها الفرحُ والسُّرور . راحتْ تصيحُ بأعلى صوتِها وهـــي تُصفِّقُ بيدَيها : « ستَعودُ ابْنتي العزيزَة . نَعَمْ ستَعود . سَوفَ تَراها عيناي وتَضمُّها إلى صَدْري يَدايَ . »

هَبَّ رَجُلُها من رُقادِهِ مَذعوراً . وعندما رأى امرأَتَهُ على تلكَ الحالَةِ ظَنَّها قد جُنَّتْ (فقَدَتْ عقلَها).

أمّا هي فقالَتْ لَهُ بِصوتٍ هادِىءٍ وقد سَكَنَ اضْطرابُها (هَدأَ قَلَقُها): « حَلَمْتُ حُلْماً غريباً . بينما كُنتُ غارِقَةً في النومِ سَمِعْتُ طَرْقاً على الباب . قُمْتُ وفَتحْتُه . تَراءى لي (ظَهَرَ لي) رجلٌ طويلُ القامَةِ قَويُّ البِنْيَة ، علَيهِ أماراتُ النُّبلِ والكَرَم (عَلامات) . قال لي : إن ابْنَتَكما قرّةَ العين تنْتَظِرُكما في قَصْرِ المَلِك . وتَوارى عن بَصَري . »

قال لها زَوجُها : « إن شاء الله ، يا عزيزتي . »

ما رَأْيُكَ ، أيُّها القارِىءُ الصغير ، هل تَتحقَّقُ الأحْلام ؟

بَقِيَتْ قرَّةُ العينِ وَحدَها بعد أن غادَرَها خِطِّيبُها تُداعِبُها الأحْلامُ الحُلوة (تُلاعِبُها ـ تُراوِدُها). « لقد حانَ وقتُ خَلاصي . غداً في مِثْلِ هـــذا الوقت أكونُ قد نَجوتُ من سِجْني ... » وغَلَبَها النُّعاسُ فَغرِقَتْ في سُباتٍ عَميق (نوم ـ رُقاد). لمّا أفاقَتْ من نومِها رأَتْ بِجانِبِها الحَبْلَ الذي تَفتِلُه (تَجدُلُه) : « عَلَيَّ أن أَنْتَهِيَ من عملي قَبلَ المساء . » وانْصَرَفَتْ إلى العملِ بِجِدٍّ ونَشاط حتّى كادَتْ تُدْمِي أصابِعَها (تُسيلُ مِنْها الدَّم) .

بينَما هي غارِقَةٌ في عَمَلِها دَوّى صوتُ الساحِرَة : « قرَّةَ العين ، دَلّي شَعْرَكِ لأَصْعَدَ إليكِ . » لكنَّ الفتاةَ لم تَنْتَبِهْ لِأنَّها كانَتْ مُنهَمِكَةً في الشُّغْل (مُنْصَرِفَةً إليه) . رَدَّدَتِ العَجوزُ نِداءَها لِلمَرَّةِ الثانِيَة وقد رابَها الأَمْر : « قرَّةَ العين ، يا قرَّةَ العين ، دَلّي شَعْرَكِ لِأَصْعَدَ إليكِ . »

اضْطَرَبَتِ الفتاةُ لِسَماعِها هذا الصوتَ المُنكَر (لا يَحمِلُكَ علَى الإطْمِئنان) وهَرْوَلَتْ إلى النافذةِ (أسْرَعَتْ إليها) ودَلَّتْ شعرَها وانْتَشَلَتِ العَجوزَ إليها . تَعِسَةٌ أنتِ ، يا قرَّةَ العين . ماذا نَسيتِ ؟ نَسيتِ أن تُخَبِّئي الحَبْلَ الذي تَجدُلينَه .

دَخلَتِ العَجوزُ ووقعَ بَصرُها على الحَبْل ... إنْتَبَهَتِ الفتاةُ لِخَطاِها ولكنْ بعدَ فواتِ الأوان . فكادَتْ تَموتُ خوفاً . قالتْ لها العَجوزُ الخَبيثَة : « ما هذا الحبلُ ، يا عزيزتي ؟ أرَى أنَّكِ تُحِبّينَ الشُّغْلَ ولا تُضيِّعينَ وقتَكِ . » إنْعقَدَ لِسانُ الفتاةِ ولم تَنبِسْ بِبِنْتِ شَفَة (لم تَفُهْ بِكَلِمَة) .

حِينَئِذٍ انفجَرَتِ العَجوزُ غَضَباً (غَضِبَتْ غَضَباً شديداً) قالتْ : « يا ناكِرَةَ الجَميل (يا جاحِدَةَ المعروف) . تُريدينَ أن تَترُكيني بعدَ أن رَبَّيتُكِ واعْتَنَيتُ بكِ ؟ سوفَ تَندَمينَ على ما فعَلْتِ . »

لَبِثَتِ الفتاةُ جامِدَةً بِمَكانِها لا تَقدِرُ أن تَفوهَ بِكَلِمَةٍ واحدة . مَرَّتْ في مُخَيِّلَتِها صورةُ أميرِها المَحْبوب فانْحَدَرَتْ من عينَيها دَمْعتانِ حارَّتان .



حِينَئِذٍ أخذَتِ الساحِرةُ مِقصًّا وجَزّتْ شعرَ الفتاة (قَصَّتْهُ) ورَمَتْ به في زاوِيةٍ من زوايا الغُرْفَة . وبِأسْرَعَ من لَمحِ البَصَر إحتَمَلَتها وسارَتْ بها إلى مَكانٍ مُقْفِرٍ مجْهول في وَسَطِ غابَةٍ كَثيفَة . وَداعاً أيُّها الأميرُ المَحْبوب .

عادَتِ العَجوزُ إلى البرجِ تَنْتَظِرُ قُدومَ ابْنِ المَلِك .

عندَ المساء أقبَلَ الأميرُ وهو يَكادُ يَطيرُ من شِدَّةِ الفَرَح . بعدَ دقائِقَ مَعْدودَة سَيَعودُ إلى قَصرِ أبيهِ تُرافِقُهُ خطيبَتُه . ما إن وَصَلَ إلى أسفَلِ البرجِ حتّى نادى : « قرَّةَ العين ، دَلّي شعرَكِ لأصْعَدَ إلَيك . » شَدَّتِ العَجوزُ غدائِرَ الفتاةِ إلى حديدَةٍ في النافذةِ ودَلَّتْها .

صَعِدَ الشابُّ ودخلَ وَوَجْهُهُ يَضْحَكُ غِبْطَة . ما إن وقع بصرُهُ على العجوزِ البَشِعَة حتّى جَمَدَ مكانَهُ وقد تَمَلَّكَهُ الذُّهول . حارَ في أمرِه . فهو لا يَجْرُؤُ أن يَسْتَخْبِرَ عن الفتاة (يَسْأَلُ عنها) .





كانَتِ الساحِرَةُ تَنْظُرُ إِلَيهِ ساخِرَةً (هازِئَة - مُتهكِّمَة) . أخيراً قالَتْ لهُ وقد ارْتَسَمَتْ على شَفَتَيها ابْتِسامَةٌ خَبيثَة : « أهلاً وَسَهلاً بالأميرِ الشابِّ . أنا بِغايَةِ الشوقِ إليك . كُنْتُ أَنْتَظِرُكَ بفارِغِ الصَّبْر . أَتَيتَ تَحمِلُني إلى قصرِ أبيك . هَلُمَّ بِنا . »

قالتْ هذا وقَهْقَهتْ قَهْقَهَةً رَنَّ صداها في أنحاء الغرفة . ثمَّ تابَعَتْ : « إِنَّكَ تَبْحَثُ عن خَطيبَتِك (تُفَتِّشُ عنها). لقد غادَرَ العصفورُ العُشَّ وانْقَطَعَ عنِ الغِناء (تَوَقَّفَ عنه) . لن تَسْمَعَ صوتَهُ بعدَ اليوم ولن تَرى وَجْهَه . » مَزَّقَتْ هذِهِ الكَلِماتُ قَلْبَ الشابِّ . فَرَمى بِنَفْسِهِ مِنَ النافذَةِ وقد أَفْقَدَهُ الحُزْنُ رُشْدَهُ (عقله - صوابه)

مِسكينٌ هذا الأميرُ الشابّ . لقد هَوى إلى الأرضِ بينَ الأشواكِ من عُلوٍّ شاهِق . غَرَزَ الشَّوكُ في عَينَيهِ فَفَقَأَهُما (ذَهَبَ بنورهما) من حيثُ لا يدري . بَقِيَ بعضَ الوقتِ لا يأتي بِحَرَكَة . ثم جَمَعَ قِواهُ وَنَهَض . أجالَ بَصَرَهُ (سَرَّحَهُ) فيما حَولَهُ فلم يُبْصِرْ شيئاً .

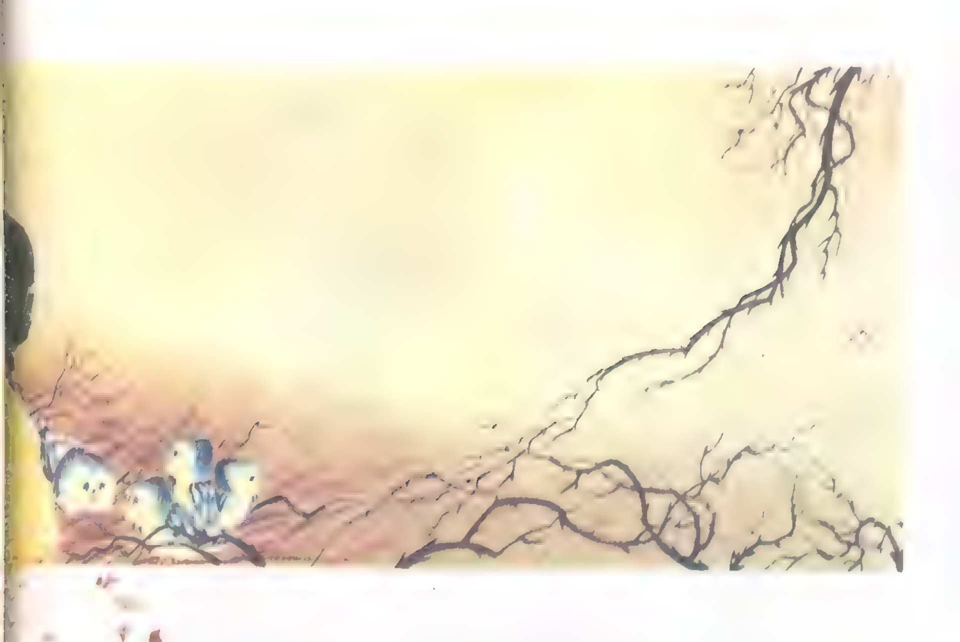
أغمَضَ عَينَيهِ ثمَّ فَتَحَهُما يُحاوِلُ أنْ يَرى النورَ ولكنْ دونَ جَدْوى (فائدة) . فَصَرَخَ صَرخَةً رَدَّدَتْ صَداها الغابَة : « لقد عَمِيتُ . ماذا أَصْنَعُ الآنَ وإلى أينَ أَتَّجِه ؟ كيفَ أَعودُ إلى بيتِ أبي وأنا أعمى ؟ سَأَقضي باقيَ حَياتي تائِهاً في الغابات إلى أن يَحينَ وَقْتُ أَجَلي (يأتي وقتُ موتي) . »

راحَ يُفتِّشُ فيما حولَهُ فوقَعتْ يدهُ على عصاً . أخذَها ليتوكَّأ عليها ويتلمَّسَ بها طريقه . يمشي على غيرِ هُدًى . يتنقَّلُ من مكانٍ إلى مكان. يقتاتُ بما يجدُهُ مِنَ الأعشابِ البرِّيَّة. يتعبُ مِنَ المسيرِ فيجلِسُ في ظِلِّ شجرةٍ يستريح . عندما يغلبُهُ النُّعاسُ يُسنِدُ رأسَهُ إلى حجرٍ وينام .

مرَّتِ الأيَّامُ والشُّهور ...

في أحدِ الأيَّام بينما كانَ الأميرُ هائماً على وجهِهِ يتلمَّسُ طريقَهُ بعصاه إسترعى انتباهَهُ أناشيدُ مُحزِنَةٌ تنبعِثُ مِنَ الغابة. توقَّفَ وأرهفَ سمْعَه (أنصتَ) : « إلهي ما هذا الصَّوت؟ هذا صوتُها. أينَ هي؟ قرَّةَ العين ، أينَ أنتِ ؟ » واندفعَ نحوَ مصدرِ الصوتِ وهو يُنادي « قرَّةَ العين ، قرَّةَ العين . »

سمِعَتِ الفتاةُ النِّداء وقد ذكَّرها بصوتٍ ألِفَتْهُ أذناها (تعوَّدَتْهُ) . خرجتْ من كوخِها كالمجنونَة وإذا بها تلتقي أميرَها المحبوب . أدخلَتْهُ كوخَها وقد هالَها منظرُه (أخافَها) . أقعدَتْهُ على كرسيٍّ وانحنَتْ عليهِ تُلاطِفُهُ وتُلامِسُ وجهَه وقد عقَدَ الحزنُ لسانَها . وانحدرَتْ من عينَيها



دَمعَتانِ حارَّتانِ وَقَعَتا على عَينَي الشابِّ المُنطَفِئتَين .

يا لَلعَجَب ! لقد انفَتحَتْ عينا الشابّ وعادَ إليهما النور . فأخذَ خطيبتَهُ بينَ ذراعَيهِ وضمَّها إلى صدرِه . وامتزَجَتْ دموعُهما ، دموعُ الغِبطَةِ والحبور .

ثمَّ نَهَضا من ساعَتِهما واتَّجها إلى قصرِ الملِك . ما إن وَصلا حتّى خفَّ الملِكُ إلى استِقبالِهما (أسرَعَ) والفرحُ يَغمُرُ قلبَه (يمْلأه) .

في اليومِ التالي أرسَلَ الأميرُ رَسولاً يَبحَثُ عن والِدَي الفتاة لَعَلَّهما لا يَزالانِ على قَيدِ الحياة . وبعدَ العَناء والمَشقَّة إهتَدى إليهما (وَجدَهُما) وكانا قد شاخا وَطَعنا في السّنّ .

إستَصْحَبَهُما إلى قصرِ الملِك (أتى بِهِما مَعَه) حيثُ أكرَمَ الأميرُ وِفادَتَهُما (قُدومَهُما) . ولا تَسَلْ عن فرحِ الوالِدَين بِلِقاء ابنَتِهما بعد ذلِكَ الفِراقِ الطَّويل .

تَزَوَّجَ الشابُّ الفتاةَ وعاشا حياةً هَنيئةً راضِية . أمَّا الساحِرَةُ الشِّرّيرَةُ فَانشَقَّتْ مرارَتُها غَيظاً وماتَت .



أسئلة

١ - عَرِّف في جملة أو أكثرْ بكُلٍّ من أشخاصِ القِصّة .

٢ - لماذا قَصدَ الزوجُ حديقة الجِنّيّة وبماذا وعدها ؟

٣ - لَخِّصْ حُلْمَ والدةِ قُرّةِ العين .



٤ - كيفَ تمكّنَ الأميرُ مِنَ الوصولِ إلى البُرْج ؟

٥ - ماذا طلَبتِ الفتاةُ مِنَ الأمير ولماذا ؟

٦ - كيفَ اهْتَدى الأميرُ الأعْمى إلى قُرّةِ العين ؟

٧ - كيفَ اسْتَعادَ الأميرُ بَصَرَه ؟

حكايات كل زمان

- الزناد السحري
- رمّودة
- حكاية من الشرق
- ثليجة البيضاء
- مِصباح علاء الدين
- بولي وديدي
- غابة السهم الذهبي
- الأمير إيفان والعصفور الذهبي
- أبو قير وأبو صير
- علي بابا واللصوص الأربعون
- هنسل وغريتل
- الأميرة وراعي الماعز
- البلبل
- الإخوة الثلاثة والكنز
- الزهو البري
- الملك الضفدع
- جوقة مدينة بريما
- الناي السحري
- الذئب والعنزات السبع
- الأمير دراغون
- الوزّة السحرية
- حصن الثوم
- الفول السحري
- الحمار الذهبي
- وريدة الحمراء وثليجة البيضاء
- قُرّةُ العين
- القزم وابنة الطحان
- الحيّة البيضاء
- الشابُ المحظوظ

منشورات مكتبة سمير
شارع غورو • هاتف : ٢٢٦٠٨٥ • بيروت


Kewell
www.arabcomics.net